الارتقاء الحضاري في بنية النفس البشرية
من منظور قوله تعالى [ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (الصف:٣٤)

إعداد

أ. د. عماد مُحَمَّد كريم

العراق – اقليم كوردستان

جامعة كرميان، كلية التربية الأساس، قسم اللغة العربية

Imad.mohammad@garmian.edu.krd

٠٠٩٦٤٠٧٧٠١٩٥٤٢٥٤

ا.م.د.سعد عبد الله مُحَمَّد

العراق – اقليم كوردستان

جامعة كرميان، كلية التربية الأساس، قسم اللغة العربية

saad.abdullah@garmian.edu.krd

٠٠٩٦٤٠٧٧٠٦٦٥٨٩٩٧

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس ٨).

نظمه مركز بحوث القرآن الكريم بجامعة ملايا، بالشراكة مع: كرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم بجامعة أم القرى.

الأربعاء والخميس ٥– ٦ ربيع الأول ١٤٤٠هـ، الموافق ١٤– ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

ماليزيا– كوالالمبور

ملخص البحث

يدرس هذا البحث موضوعاً حيوياً يحتاج إليه الفرد والجماعة على حد سواء، ينطلق من النفس البشرية، وتظهر آثاره بعد ذلك على السلوك الفردي والجمعي، عظيمة النفع، وعميمه، أرشدت إليه آية كريمة، هي قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤]، وهو مقسم على مقدمة، وأربع مطالب، وخاتمة، باتباع المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، وأهم ما توصل إليه البحث من نتائج، هو انطواء الآية على معنى عظيم، يعد أساساً حضارياً تؤسس للحفاظ على قواعد السلم الاجتماعي، وتقوية صلات المجتمع، وحل النزاعات بالتي هي أحسن.

Abstract

This research , Cultural Upgrading in the Structure of the Human Psyche, examines a vital subject that both the individual and the community need. It starts from the human psyche, and shows its effects on individual and collective behavior as a great public benefit. The honorable Verse guides us, Allah says:

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}

[فصلت: ٣٤]

It is divided into an introduction, four demands, and a conclusion. It follows the descriptive analytical and deductive approach. And the most important conclusion of the search results is the outstading interpretation of the meaning of the verse. So, the interpretation Is a cultural basis established to maintain the rules of social peace, Strengthen community ties, and it resolves disputes in the best way.

المقدمة

الحمد لله أصدق القائلين، والصلاة والسلام على سيد المحسنين، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب الله العزيز عالم متكامل فريد، يضع بين يدي الدارس الواعي ما يحتاجه، ويرنو إليه من المنطلقات الحضارية المرموقة، والقواعد الكلية العظيمة، التي تشكل اللبنات المحكمة، والأساسات المتينة، – التي تؤسس يقيناً– لمجتمع مثالي قائد.

ونحن في هذه الدراسة ولجنا هذا العالم، واستوقفنا فيه موضوع عظيم، يتعلق بنفسية الفرد ووعيه، يتشكل على إثره سلوكه الحضاري، وتزداد أهمية هذا الموضوع في ظل الأوضاع الراهنة التي تمر بها الأمة، حيث المفاهيم الجانبية المبتورة، والحلول المشكلة، والسلوكيات الكارثية، التي جنت عليها فرداً وجماعات، وأصبحت في مرمى سهام الأمم الأخرى.

هذا الموضوع هو الارتقاء الحضاري في بنية النفس البشرية من منظور أية كريمة عظيمة، هي قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت: ٣٤، دراسة في التزكية ترسيخاً لقيم التعايش السلمي، الذي يمثل جانباً مشرقاً من هدى القرآن العظيم، إذ نُعْنى بسياق الآية، ودلالاتها، وبجمع مثيلاتها، وبما له علاقة بالموضوع في القرآن العظيم، منطلقين من أقوال المفسرين، وما وراء أقوالهم، ومستنيرين بسنة النبي الكريم ﷺ، وسِيَر صالحي الأمة وقدواتها، وصولاً إلى نظرة كلية شاملة عن الموضوع، تسهم في تحقيق نتائج مرجوة.

وهدفنا في هذه الدراسة بيان ما ينبغي أن تكون عليه النفس المسلمة في حمأة التدافع الحضاري، بحسب مقاصد القرآن وإرشاداته، وكشف الحقيقة عن السلوكيات الخاطئة، التي نتجت وتنتج عن الأنفس المشكلة الغَرّة، التي أضحت أداة طيعة في مخططات المنافسين ومشاريعهم، أو خادمة لهم مجاناً.

أما خطة الدراسة فيتشكل من مقدمة، ومبحث أول نقف فيه بين يدي الآية تحليلاً واستدلالاً، ومبحث ثانٍ نجلي فيه مفهوم الارتقاء ومعطياته على المستويين الفردي والجماعي، ومبحث ثالث نحرر فيه عوامل تحقيق الارتقاء، ومبحث رابع نسجل فيه نماذج تطبيقية للارتقاء من سير الأنبياء والصالحين، تجسيداً لأمرين؛ أولهما: إثبات أن ما نقوله ليس من باب المثاليات، وثانيهما: إبراز قدوات نهتدي بهداها في هذا السبيل، والسعي المبارك. ونرتسم في دراستنا هذه المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي.

والله تعالى المعين

الباحثان

المطلب الأول: بين يدي الآية تحليلاً واستدلالاً

أولاً: نص الآية:

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت: ٣٤).

ثانياً: مكان نزول الآية:

هذه الآية مكية محكمة، ولم نجد مستنداً يمكن الاعتماد عليه، لمن قال بنسخها بآية السيف(١)، إذ لا داعي للقول بالنسخ، وليس ثمة أثر صحيح يؤكد ذلك(٢).

ثالثاً: سبب نزول الآية:

نقل الامام القرطبي (ت:٦٧١هـ)- رحمه الله - عن مقاتل (ت:١٥٠هـ) أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، كان عدواً لرسول الله ﷺ فصار له ولياً بالمصاهرة، ثم أسلم فصار ولياً في الإسلام حميماً بالقرابة، ونقل عن الماوردي (٤٥٠هـ) قوله: إنها نزلت في أبي جهل، كان يؤذي الرسول (صل الله عليه وسلم)، فأمره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه، ثم ذكر بأن الأول أظهر(٣)، وكلامه وجيه، ولكن الذي ينبغي مناصرته هنا هو ما قاله الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ): أن الأولى حمل الآية على العموم(٤)، بل هو الصحيح.

رابعاً: قراءة الآية:

ذكر الشوكاني أن الجمهور قرأوها "يُلَقَّاهَا" من التلقية، وقرأ طلحة بن مصرّف (ت:١١٢هـ) وابن كثير (ت:١٢٠هـ) في رواية عنه "يلاقاها" من الملاقاة(٥).

خامساً: سياق الآية:

جاءت الآية تعقيباً على أمرين؛ أحدهما: موقف الكافرين من القرآن، إذ قالوا: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} (فصلت: ٢٦)...، والثاني: موقف الرسول والذين أمنوا، الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعوا عباد الله إلى ما قالوا وعملوا به من ذلك(٦).

---

(١) هي الآية الخامسة من سورة براءة، ينظر: تفسير ابن كثير: (١١٢/٤).

(٢) ينظر: ناسخ القرآن ومنسوخه، لابن الجوزي: (١٨٨).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: (٣٦٢/١٥).

(٤) ينظر: فتح القدير: (٥٩١/٤).

(٥) ينظر: نفسه: (٥٩٢/٤).

(٦) ينظر: تفسير الطبري: (٤٦٨/٢١)، تفسير الرازي: (٥٦٤/٢٧-٥٦٥).

سادساً: مناسبة الآية مع الآيات السابقة واللاحقة:

جاءت الآية متناغمة متناسقة مع ما قبلها، ومع ما بعدها، بأحسن ما يكون من التناسق والتناسب، فقد تكلمت الآيات السابقات عليها عن أنموذج للسيئة التي صدرت من الكافرين، إذ قالوا: {قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} [فصلت: ٥]، وقالوا: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت: ٢٦]، فرد الله تعالى عليهم بالأدلة الباهرات، وبين زيف قولهم، وعاقبة أمرهم، ثم أعطى تعالى أنموذجاً للحسنة بعرض حال الذين قالوا: {رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت: ٣٠]، وهذه مرتبة التام من مراتب السعادات، وهي اكتساب ما يصير الإنسان به كاملاً بذاته من الصفات الفاضلة، ثم أتبع ذلك بمرتبة هي فوق مرتبة التام، وهي مرتبة الاشتغال بتكميل الناقصين، ويعبّر عنه قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: ٣٣]، ثم كأن سائلاً سأل، فقال: إن الدعوة إلى الله وإن كانت من أعظم الطاعات، إلاّ أن الصبر على سفاهات الكفار شديد لا طاقة لنا به، فعند ذلك قال ربنا تبارك وتعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت: ٣٤]، فأرشد إلى الدفع بالتي هي أحسن، وبين أن هذا مقام خيره وفير ومردوده عظيم، ولا يناله إلاّ ذو حظ عظيم، ثم وضع طريقاً لدفع ما يعيق هذه الفضيلة، فقال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٦]، ولا يخفى على كل من أُوتِيَ فهماً وحصافة، أن لا أحسن من هذا الترتيب، ولا أكمل منه(١).

سابعاً: مدلول الآية:

بدأت الآية بحرف العطف، وجملة العطف له موقع عجيب، فيجوز أن تكون عطفاً على جملة {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت: ٣٣]، فتكون مكملة لها، تبين تفاوت حال المؤمنين الموصوف بالحسنة، وحال المشركين الموصوف بالسيئة، وهذا من باب عطف الجمل التي يجمعها غرض واحد، لا عطف غرض على غرض.

ويجوز أن تكون عطفاً على جملة {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت: ٢٦]، الواقعة بعد جملة {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ...} [فصلت: ٥]، فإن إصرار الكفار على عدم الاستجابة للحق يثير الضجر والضيق، فأردف ذلك بما يدفع هذه الحالة عن النفس بقوله: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت: ٣٤]، فالحسنة هنا جنس تشمل جميع أفرادها، وأولها تبادراً حسنة الدعوة إلى الإسلام، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء، وهذا ينتج ترك ما يثير الحمية للأفكار والمعتقدات، وإيثار اللين، والعطف

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: (٢٧/٥٦٢-٥٦٥)، نظم الدرر: (١٤/٣٨٩-٣٩٢).

والحالة هذه عطف غرض على غرض، ويسمى بعطف القصة على القصة، وهذا الأسلوب الجميل الأخّاذ يكون تمهيداً وتوطئة لقوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (فصلت: ٣٤)(١).

وثَنّت بنفي الاستواء بين الحسنة والسيئة، ونفيُ الاستواء ونحوه بين شيئين في غالبه لتفضيل أحدهما على مقابله بحسب دلالة السياق، وكان على مقتضى الظاهر أن يقول: لا تستوي الحسنة والسيئة، دون إعادة " لا" النافية الثانية، فما فائدة هذا التكرار؟، قال المفسرون: هي لتأكيد أختها(٢)، ومنهم من قال: في الكلام احتباك(٣)، فيدل على النفي التام بين الجنسين؛ الحسنة والسيئة(٤).

ودلالة العطف بالاعتبار الأول هي خُلُوص تفضيل الحسنة على السيئة إلى الأمر بالدفع بالتي هي أحسن، فيكون من آثاره، وهذا من باب الإرشاد إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، ودلالته بالاعتبار الثاني هي وقوع الجملة موقع النتيجة من الدليل، فمضمونها ناتج عن مضمون الثانية التي قبلها، وعلى الاعتبارين تكون جملة الدفع مفصولة لا معطوفة(٥).

وقد ذكر المفسرون لمعنى المفردتين في هذا السياق أقوالاً متعددة، فقالوا إنهما(٦):

١- المداراة والغلظة.
٢- الصبر والجزع.
٣- الشرك والتوحيد.
٤- العفو والانتصار.
٥- الحلم والغضب، وغير ذلك.

والصحيح أن الحسنة تشمل كل أنواعها، والسيئة كذلك، فلا وجه لتخصيص أحدهما في نوع من أنواعهما(٧)، فاللفظ أوسع من ذلك.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٤/٢٨٩-٢٩٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٢١/٤٧٠)، التحرير والتنوير: (٢٤/٢٨٩-٢٩٠).

(٣)الاحتباك: مأخوذ من الحَبْك، وهو الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، وهو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل. ينظر: الكليات: (٥٧)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: (٥٠٦)..

(٤) ينظر: تفسير الطبري: (٢١/٤٧٠)، المحرر الوجيز: (٥/١٥)، التحرير والتنوير: (٢٤/٢٩١).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٤/٢٩١).

(٦) ينظر: تفسير السمعاني: (٥/٥٢).

(٧) ينظر: فتح القدير: (٤/٥٩١)، البحر المديد: (٥/١٧٨)، التحرير والتنوير: (٢٤/٢٩٠).

ثم أمر الله تعالى بعد هذه المقدمة المفيدة بالدفع، قائلاً: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت: ٣٤]، فمن المفسرين من قال: إن الأحسن هنا بمعنى الحسنة، أي ادفع بالحسنة السيئة(١)، ومنهم من قال: إن المراد بالأحسن هو الإحسان، أي ادفع سيئة من أساء إليك، بالإحسان إليه، قال الزمخشري: معنى ذلك الأخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها، فإذا اعترضتك حسنتان، فادفع بأحسنهما السيئة، فمثلاً إذا أساء إليك أحدهم، فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن: أن تحسن إليه مكان إساءته إليك(٢)، ويقول الرازي: إن التعبير بالأحسن أبلغ أثراً من الحسنة، لما فيه من التفضيل، ومعنى ذلك الصفح عن الأساءة، ومقابلتها بما أمكن من الإحسان، فإذا اجتمع الصفح والإحسان وبذل الطاقة فيه، كانت حسنة مضاعفة بإزاء السيئة(٣)، وقال الآلوسي: إن التعبير بالأحسن أبلغ من الحسنة، لمكان أحسن، وأن المفاضلة فيه على حقيقتها(٤)، وقال البقاعي: معنى الجملة دفع ما يضر بكل ما يستطاع من الخصال والأحوال التي هي أحسن من الأعمال الصالحات، فمثلاً العفو عن المسِيء حسن، والإحسان إليه أحسن منه(٥)، ويقول: (... هذه الخصلة التي هي مقابلة الإساءة بأحسن الحسن، وهو الإحسان الذي هو أحسن من العفو والحلم والصبر والاحتمال)(٦).

ويؤيد هذا غالب لفظ (أحسن) الوارد في القرآن الكريم، الذي تكرر فيه أكثر من (٣٥) مرة، وتدل عليه سياقات {بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، كقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام: ١٥٢]، وقوله: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]، وقوله: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤]، وقوله: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} [المؤمنون: ٩٦]، وقوله: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: ٤٦](٧).

نصل من خلال ما تقدم إلى أن الآية تدل على معنى جديد زائد على مجرد الحسنة، ونؤكد أن القول الأول لا يلغي هذا المعنى، لأن الأحسن من الحسنة، والحسنات تتفاوت، والمطلوب هنا هو الدفع بالتي أحسن، يقول القاسمي: بالتي هي أحسن منها، هي الحسنة. والمراد بالأحسن الزائد مطلقاً، ونقل عن القاشاني قوله: أي إذا أمكنك دفع السيئة من عدوك بالحسنة، التي هي أحسن، فلا تدفعها بالحسنة التي دونها(٨).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري: (٤٧١/٢١)، تفسير السمعاني: (٥٢/٥).

(٢) ينظر: الكشاف: (٢٠٥/٤)، وينظر: البحر المديد: (٥١٨/٦)، تفسير ابن كثير: (١٨١/٧).

(٣) ينظر: التفسير الكبير: (٢٩٢/٢٣).

(٤) ينظر: روح المعاني: (٢٦١/٩).

(٥) ينظر: نظم الدرر: (٣٩٠/١٤).

(٦) نفسه: (٣٩١/١٤).

(٧) ينظر: الكشاف: (٧٩/٢، ٦٤٤، ٦٦٥، ٦٧٢، ٧١٤، ٢٠١/٣، ٤٥٧).

(٨) ينظر: محاسن التأويل: (٣٤٠/٨)، وقد ذكر الآلوسي معنى دقيقاً للآية، لا يخرج عما ذكر، إذ يقول: (وجوز أن تعتبر

وبمقارنة هذه الآية بنظيراتها وشبيهاتها، نستنتج أن الدفع في القرآن – بغض النظر عن الدفع الواجب – دفعان؛ سلبي وإيجابي، فالأول هين موافق لطبع البشر، وهو الانتقام والانتصاف من المسيء بشرط المماثلة وعدم الشطط، ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل: ١٢٦]، وقوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى:٤٠-٤١].

والثاني مرتبتان؛ أدنى وأعلى، الأولى: يرتقي فيها المرء من ضحالة الثأر، وسَوْرة الغضب إلى رحاب الصبر، حيث كظم الغيظ والتحكم بالنفس، وصولاً إلى الإعراض عن المسيء، والعفو عنه، والصفح، وفي هذا يقول تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف:١٩٩]، ويقول: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠]، ويقول: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣]، ويستدل لهذه المرتبة كذلك بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٢]، وبقوله: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [القصص: ٥٤]، فهذه المرتبة عظيمة، ومن مظاهر عظمتها أن العافي سليم موقفه من الوزر تماماً، وثابت أجره إن كان احتساباً، بينما الآخذ بثأره لا يأمن من الميل والجنوح في أخذه بحقه، وإن اجتهد، لهذا ينعت الله تعالى فعله بالسيئة {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى:٤٠]، ولأنه رد فعل، ورد الخطأ من دون وازع مُوقِع في الخطأ، غير أنه لا سبيل عليه إن استوفى حقه من غير تعد.

والثانية هي مرتبة تربو على سابقتها، إذ ترتقي النفس من درجة العفو عن المسيء إلى منزلة الإحسان إليه، وتبرز فيها قيم الصبر والحلم والسماحة والإحسان بأبهى صورة، حيث يصل المرء إلى الكمال البشري، وقمة الأخلاق، التي جاء الرسول الكريم لإتمامها، عندما قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))(١).

وهي المرتبة التي دعت إليه الآية موضوع البحث، والآية السادسة والتسعون من سورة المؤمنون: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ}، مع التأكيد على أن الأولى أوفى بموضوعنا من الثانية، إذ قد تنازعنا الخصوصية في الثانية، لذلك اخترنا الأولى موضوعاً للبحث.

المفاضلة بين الحسنة والسيئة على معنى أن الحسنة في باب الحسنات أزيد من السيئة في باب السيئات، ويطرد هذا في كل مفاضلة بين ضدين، كقولهم : العسل أحلى من الخل، فإنهم يعنون أنه في الأصناف الحلوة أميز من الخل في الأصناف الحامضة، ومن هذا القبيل ما يحكى عن أشعب الماجن أنه قال : نشأت أنا والأعمش في حجر فلان، فما زال يعلو وأسفل حتى استوينا، فإنه عنى استواءهما في بلوغ كل منهما الغاية، حيث بلغ هو الغاية في التدلي، والأعمش الغاية في التعلي)، روح المعاني: (٦١/١٨).

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى: (١٩٢/١٠)، وقال الألباني صحيح، ينظر: الصحيحة: (٦/١).

يقول الآلوسي:(ادفع بالتي هي أحسن، أي ادفع بالحسنة التي هي أحسن الحسنات، التي يدفع بها السيئة، بأن تحسن إلى المسيء في مقابلتها ما استطعت، ودون هذا في الحسن أن يحسن إليه في الجملة، ودونه أنه يصفح عن إساءته فقط) (١).

وتكتنف هذه المرتبة – بحسب الآية – معطيات عظيمة على المستويين الفردي والجماعي، يجعلها منية المربين، ونصب عين المهتمين، وقرة عين الممتثلين، إذ يقول تعالى: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤]، فما هو الارتقاء؟، وماهي معطياته؟، وكيف نحققه في واقعنا؟، وهل هو واقعي أو بعيد المنال؟ هذه أسئلة نتبين أجوبتها في المطالب التالية بإذن الله وتوفيقه.

المطلب الثاني: مفهوم الارتقاء ومعطياته على المستويين الفردي والجماعي

نبين في هذا المطلب مفهوم الارتقاء، ثم نسطر معطياته على المستوى الفردي دنياً وآخرة، وعلى المستوى الاجتماعي، كما يعبر عنها قوله تعالى: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤]، وعلى وفق الفرعين الآتيين:

أولاً: ماهية الارتقاء:

١- لغة:

الارتقاء مصدر ارتقى يرتقي، أصله: رقي يرقى رُقياً ورَقياً، يقال: رَقِي في السلم، أي صعد فيه، وإلى القمة، أي ارتفع إليه، وعلى الجبل، أي علاه، ويقال: ارتقى فلان، وترقى من حال إلى حال، وما زال يترقى، حتى بلغ غايته، وترقى العامل من درجة إلى درجة، وفلان في العلم، رقي فيه درجة درجة، وتراقى تسامى(٢).

٢- اصطلاحاً:

تزخر الآية بمعنى حضاري منيف، يعد عماداً راسخاً باسقاً من أعمدة الاستقرار الاجتماعي وتآلفه، واللبنة المحكمة لنشر المحبة والتوادّ والوئام بين الأفراد، أطلق عليه سيد قطب رحمه الله اسم السماحة والاستعلاء(٣)، إلاّ أني لا أراهما لفظين وافيين بهذا المعنى، إذ السماحة قمينة بالمرتبة الأولى من المرتبتين المذكورتين في المطلب السابق، وذلك لوجوه، منها:

---

(١) روح المعاني: (٦١/١٨)، يبدو من ظاهر كلام الآلوسي أن هذه المرتبة مرتبتان، والصحيح هي مرتبة واحدة تتفاوت في الدرجة.

(٢) الصحاح: (٢٧٠/٨)، معجم مقاييس اللغة: (٣٥١/٢-٣٥٢)، لسان العرب: (٣٣١/١٤)، المصباح المنير: (٢٣٦/١)، الوسيط: (٣٦٧/١).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: (٣١٢١/٥-٣١٢٢).

أ/ أن السماحة لغة المساهلة واللين، والجود والعطاء عن كرم وسخاء[١]، وعرفه الجرجاني بقوله: (السماحة هي بذل ما لا يجب تفضلاً)[٢]، وهذا تعبير شامل للمعنيين اللغويين المذكورين للفظة، فيصدق المعنى الأول على مجرد المساهلة مع المسئ، لا يتجاوز الإعراض، وقد يترقى إلى العفو، أما الثاني فأعم من موضوعنا من ناحية وأخص من ناحية أخرى، إذ تكون السماحة بمعنى الجود والسخاء بلا مقابل، وقد تكون بمقابل، والمقابل قد يكون إيجابياً، وقد يكون سلبياً على قلة، وهو مقتصر على الجانب المالي، وهذا يفارق ما تؤكد عليه الآية من العموم.

ب/ المعنى المقصود سماحة وزيادة، ولا سيّما إذا نظرنا إلى السماحة من وجهة نظر إعلان مبادئ اليونسكو بشأن التسامح، إذ تعني: (الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال التعبير، وللصفات الإنسانية) [٣]، وهذا المفهوم لا يتجاوز الحقوق والواجبات[٤]، أما مسألتنا ففوق هذين الاعتبارين.

ولكن مفهوم التسامح في علم النفس يقترب مما نعنيه هنا، إذ يقول (Mullet): هي مجموعة من التغيرات المعرفية، والوجدانية والسلوكية الإيجابية داخل الفرد نحو الشخص المسيء، والتي تتمثل في تناقص المدركات، والانفعالات السلبية، وتناقض التجنب والدافعية للانتقام، وتزايد في النزعة إلى عمل الخير بصورة واضحة[٥].

أما تعريفه الإجرائي عندهم، فهو العفو عند المقدرة، وعدم رد الإساءة بالإساءة، والترفع عن الصغائر، والسمو بالنفس البشرية إلى مرتبة أخلاقية عالية[٦].

وجليٌّ أن التعريف بالاعتبارين يوافق المعنى المقصود في مرحلتين من مراحله الثلاثة، ويقصر عن مرحلته الثالثة، كما سنبينها قريباً.

أما اسم الاستعلاء فقد يمثل جانباً من المعنى أيضاً، إذ يعبر عن الحالة الأولى لمتثل هذا المعنى، وذلك عندما ينازع رغباته الجامحة، وعذاباته الملهبة، فينتصر عليها، ممهداً بذلك الطريق سالكة إلى الخطوة التالية، وقد يصل، وقد لا يصل، فيقال: استعلى وكفى، أو استعلى فأحسن، علاوة على ذلك فإنه قد يُستخدم في التعبير عن معنى سلبي في النفس، لذلك لا ينسجم مع ما نحن بصدده انسجاماً تاماً.

---

(١) ينظر: لسان العرب: (٤٨٩/٢).

(٢) ينظر: التعريفات: (١٦٠).

(٣) إعلان مبادئ بشأن التسامح، اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥، المادة (١)، الفقرة (١). http: //hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html

(٤) ينظر: مفهوم التسامح في الإسلام: (٤).

(٥) ينظر: التسامح وعلاقته بالهناء الذاتي: (٧).

(٦) ينظر: نفسه: (٧).

وكذلك الأمر بالنسبة إلى اسم السمو أو التسامي، فهو وثيق معناه مع الاستعلاء، ففي اللغة هو العلو والارتفاع(١)، وهذا لا يكون شاملاً للمعنى المراد كليّة.

لذلك آثرنا أن نطلق على هذا المعنى تسمية الارتقاء(٢)، فهو يصدق على المرحلة الأولى للمعنى، وهي كظم الغيظ والإعراض، وعلى المرحلة الثانية، وهي العفو والصفح عن المسيء، وعلى المرحلة الثالثة، وهي الإحسان إليه، فيترقى المحسن من حال إلى حال وصولاً إلى الغاية القصوى، حيث التربع على قمة هذه القيمة العليا من قيم الأخلاق الفاضلة، التي تمثل سنام الحضارة، فهو إذن ارتقاء حضاري، وتستهدف الآية المصدر المحرك للإنسان، لتزرع فيه هذا المعنى، لذلك قلنا: الارتقاء الحضاري في بنية النفس البشرية.

هذا وتعد السماحة والاستعلاء والسمو من مقدمات هذا الأمر ومكملاته، فالاسم المختار إذن اسم جَمّاع لمضامين الأسماء المذكورة، ولما هو خارج عنها.

بعد تثبيت التسمية بقي بيان المعنى الذي قصدته الآية، فنقول: سبق القول إن الآية تدعو إلى المرتبة العليا من مرتبتي الدفع الإيجابي، لذلك يمكن التعبير عن المعنى بأنه: قيمة حضارية عليا تربو على السماحة، تحث الآية على ترسيخها في بنية النفس البشرية، وتدعو إلى دفع الإساءة بها، لعموم فائدتها على المستويين الفردي والجماعي، والدنيوي والأخروي.

ومن مظاهر عظمة هذا المعنى أنه لا يختص بالمسلمين فيما بينهم، بل يشملهم ويتعداهم إلى غيرهم، فالآية عامة تشمل الناس كلهم، ولم أر ما يخصصها في جنس دون آخر.

وهو عام من حيث نوع الإساءة أيضاً، وعمومه فيها أصل، لأنه إحسان، والإحسان كمال، والكمال مطلوب لذاته، ولا يعدل عنه ما لم يخش فوات كمال أعظم(٣)، ولذلك قالت عائشة ﵂: ((... والله ما انتقم – أي رسول الله ﷺ – لنفسه في شيء يؤتى إليه قط، حتى تنتهك حرمات الله، فينتقم لله))(٤)، وهذا يعني أن الحدود ونحوها أمور خاصة، مستثناة من هذا الدفع(٥).

ومن ضوابط هذا الدفع أيضاً، قول الآلوسي: (... الدفع المذكور مطلوب ما لم يؤد إلى ثلم الدين والإزراء بالمروءة)(٦).

---

(١) ينظر: لسان العرب: (٣٩٧/١٤).

(٢) لقد استخدم القشيري لفظ (رقّى) في أثناء تفسير الآية. ينظر: لطائف الإشارات: (٣٣٢/٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٩٢/٢٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: (٢٤٩١/٦)، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، كتاب الحدود، رقم الحديث (٦٤٠٤).

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٩٢/٢٤).

(٦) ينظر: روح المعاني: (٢٦١/٩).

ثانياً: معطيات الارتقاء الحضاري:

إن معطيات هذا الارتقاء كثيرة ومتعددة، فنواله تشمل المسيء والمساء إليه، مع رجحان كفة الثاني، ومن نواحٍ مختلفة، كالصحة النفسية والعافية الجسمية، والعلاقات الاجتماعية، والدنيوية والأخروية، لا بل تتجاوز الفرد إلى حيز الجماعة، فتغدق عليها بسربال المحبة والوئام والانسجام والسلام، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

١- المعطيات الفردية:

تنقسم معطيات الارتقاء على المستوى الفردي على معطيات عاجلة، وأخرى آجلة، نبدأ بالأولى، ثم الثانية:

أ/ المعطيات العاجلة (الدنيوية):

يتعدد هذا القسم إلى حيثيات كثيرة، فمن حيث العلاقات يُوجد حالة إيجابية متقدمة من العلاقات بين المسيء والمساء إليه في الأعم الأغلب، كأثر من آثار الدفع الإيجابي الراقي من قِبَل الثاني، فيتحول البغض والكره والعداوة إلى الصداقة والمحبة والمصافاة، ويتحول البعد والتدابر إلى المودّة والقرب، وهذا مصداق قوله تعالى: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤].

ويعد خطوة مهمة في استعادة العلاقات المتصدعة والثقة المتبادلة بين الأفراد، كما يسهم في حل الكثير من المشكلات الحادثة نتيجة الفعل السيء، ويمنع حدوث الكثير من المشكلات المستقبلية، وييسر إيجاد الثقة والتعاون والانتماء، التي تعد بجميعها ذات أهمية كبيرة في إقامة علاقات اجتماعية جيدة، كما يسهم في تحسين جودة الحياة، والرضا عنها، فينتج عن ذلك الشعور بالسعادة(١).

ومن حيث شخصية الطرفين، فإن هذا التصرف الراقي يفتح أمام المسيء آفاقاً رحبة، كي يبدل سلوكه السيء، وينخرط في عداد المحسنين، ويؤسسُ لسمعة طيبة مرضية للمساء إليه عند الناس، ويحيله إلى قدوة يقتدى به في المجتمع(٢).

قال القاشاني: إن الدفع بالحسنة تسكّن شرارة المسيء، وتزيل عداوته، ويثبت مقام القلب على الخير، وتمحي ذنبه بالندامة، أما الدفع بالسيئة، فيفقد هذه المزية، ويلقي المقابل في الأوزار، ويجعل منه ومن نفسه من جملة الأشرار، متسبباً في ازدياد الشر، والإعراض عن الخير، إذ تزيد وتعلو النار بالحطب(٣).

---

(١) ينظر: الأنوار الساطعات: (٢/٤٧١).

(٢) ينظر: الذكاء الانفعالي والتسامح وعلاقتهما بجودة الحياة: (٣).

(٣) ينظر: محاسن التأويل: (٨/٣٤٠).

وقال البقاعي: العفو عن المسيء حسن، والإحسان أحسن منه، إذ تتحول العداوة العظيمة التي ملأت ما بين البينين إلى ولي قريب، يفعل ما يفعل القريب، حميم في غاية القرب لا يدع مهماً إلا قضاه وسهله ويسره، وشفا علله، وقرب بعيده، وأزال درنه، كما يزيل الماء الحار الوسخ(١).

وأثبتت دراسات نفسية أن التسامح – وبطريق الأولى الارتقاء- يؤدي إلى عدم تكرار الإساءة في المستقبل، باعتبار أنه يؤدي إلى المصالحة، بحيث يسعى المتسامح إلى استمرارية العلاقة مع المسيء، كما يدفع المسيء إلى المحافظة على استمرارية هذه العلاقة عن طريق تجنب الإساءة في المستقبل(٢).

واللين والسماحة مع الناس سبب عظيم لنيل محبتهم ونصرتهم، قال تعالى متحدثاً عن نبيّه ﷺ: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٩].

ويضفي على شخصية المحسن – علاوة على ما ذكر – القوة والحزم والعزم المتين، يقول تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى:٤٣].

ومن حيث الصحة النفسية والجسمية، فيمكن أن يشكل التسامح – وبطريق الأولى الارتقاء- عاملاً وقائياً، إذ يشعر المساء إليه بالرفاهية النفسية نتيجة تحرره من المشاعر السلبية، كالقلق والاكتئاب، فضلاً عن ضبط مشاعر الغضب، ويساعده في الشفاء من الألم الانفعالي، والقلق والحزن والغضب(٣).

وأثبتت دراسة أن الأفراد الأعلى تسامحاً هم أقل اكتئاباً وقلقاً، وأكثر تديناً، وإحساساً بالسعادة، والرضا عن الحياة، والهناء الذاتي(٤).

وينصح الخبراء النفسيون بضرورة التحلي بالتسامح، والعفو، لأن ذلك ينعكس إيجابياً على صحة الإنسان، فالحقد وحب الانتقام تؤثران على القلب، ويؤديان إلى ارتفاع ضغط الدم، وسهولة الإصابة بالتهابات مختلفة، كما يسببان ظهور التجاعيد، والشيخوخة المبكرة، ولتخيف الآلام المزمنة ينصح الباحثون بممارسة التسامح، والتدريب على إيجاده والاتصاف به(٥).

وهناك دراسة تؤكد أن أي رد فعل إيجابي مهما كان طفيفاً يؤدي إلى تحسن أداء النظام المناعي للجسم(٦).وطبقاً لدراسة البروفيسور لورين توسان (Loren Toussaint) فإن العفو عن الآخرين يترك أثراً

---

(١) ينظر: نظم الدرر: (١٤/٣٩٠).

(٢) ينظر: التسامح والانتقام وعلاقتهما بسمات الشخصية: (٢٠١-٢٠٢).

(٣) ينظر: نفسه: (٢٠٢).

(٤) ينظر: التسامح والرضا عن النفس: (٧).

(٥) ينظر: نفسه: (٧).

(٦) ينظر: نفسه: (٦).

إيجابياً على الدماغ، إذ يمحو الذكريات السيئة، ويخمد مراكز الانتقام، ويريح خلايا الدماغ، وينشط عملها، كما يخفض ضغط الدم، ويخفف إجهاد القلب، ويقلل من إفراز هرمون الإجهاد (Cortisol)، ويطيل العمر، وتوصلت هي نفسها إلى نتائج مذهلة في دراسة أجرتها على (١٥٠٠) شخص، طلبت منهم أن يعفوا عن الآخرين، ويعتقدوا أن الله سيغفر لهم، إذ تحسنت صحتهم النفسية، والجسدية تحسناً كبيراً، حتى أن العلماء بدأوا يخترعون طرقاً وأساليب لتعلم فن العفو عن الآخرين، لِما وجدوه من فوائد عظيمة للعفو(١).

وقد نشأ في سنة (١٩٩٨) فرع جديد في علم النفس، يدعى " علم النفس الإيجابي " (Postive Psychology)، على يد مارتن سليكمان (Martin Seligman)، يولي أهماماً كبيراً بالعفو والسماح لتنشيط المناعة، والوقاية من الأمراض(٢).

بعد كل ما تقدم نفترض أن المسيء لم تصطلح حاله، وتمادى في تمرده، ولم ينفع فيه الإحسان، فإن المحسن لا يعدم فائدة، فمن المعطيات العظيمة والحالة هذه هو ضمان نصرة الله ومعيته(٣)، روى أبو هريرة أن رجلاً قال: (يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم، ويقطعوني وأحسن إليهم، ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تَسُفُّهم المِلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك))(٤)، وقال ﷺ: ((ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله عز وجل، إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة، وما فتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة)) (٥).

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ووقوفهم معه على خصمه، فمن سمع بكرمه وسوء طوية مقابله، يكون قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكراً لا يعرفهم ولا يعرفونه يتجيشون معه(٦).

علاوة على ضمان سلامة الجانب من الإثم والخلط في حظ الآخرة، وحصول الأجر الكامل، وسلامة النفس من المكدرات وأسباب المرض، وسلامة الموقف الاجتماعي، وخروج اللئيم مذموماً مدحوراً، يتجرع

---

(١) ينظر: التسامح وعلاقته بالهناء الذاتي: (٤-٥).

(٢) ينظر: علم النفس الإيجابي وتطبيقاته: (٣٤٨-٣٥٠)، التسامح والانتقام وعلاقتهما بسمات الشخصية: (١٩٣).

(٣) ينظر: التفسير القيم: (٦٥٥)، التحرير والتنوير: (١٢٠/١٨).

(٤) رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، في كتاب باب : (١٩٨٢/٤).

(٥) جزء حديث رواه أحمد في مسند أبي هريرة: (٤٣٦/٢)، وقال الهيتمي: رجاله رجال الصحيح، ينظر: مجمع الزوائد: (٣٧٦/١٧)، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٦) ينظر: تفسير القيم: (٦٥٥).

الغيض والهوان، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه) (١)، وأورد القرطبي في تفسيره، أنه روي أن رجلاً شتم قنبراً خادم علي ﷺ، فناداه علي: (يا قنبر دع شاتمك، وإلٰهَ عنه ترضي الرحمن وتسخط الشيطان، وتعاقب شاتمك، فما عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه)، ثم أورد القرطبي من الشعر تصديقاً لهذا المعنى، قول الشاعر:

وللكف عن شتم اللئيم تكرماً ... أضر له من شتمه حين يشتم

ونقل عن آخر قوله:

وما شيء أحب إلى سفيه ... إذا سـب الكريم من الجواب

متاركة السفيه بلا جواب ... أشد على السفيه من السباب(٢).

ب/ المعطيات الآجلة (الأخروية):

إن المعطيات الآجلة (الأخروية) لهذا الارتقاء كثيرة مغدقة، تغمر الممتثل من كل جانب يوم يلاقي ربه الكريم، نعرض فيما يأتي أهم ما وقفنا عليه:

١- تحصيل محبة الله، قال تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]، فمن ارتقى تربع على قمة الإحسان، ومنه قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة: ١٣].

٢- كسب المغفرة الإلهية، قال تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢١، ٢٢]، ويقول: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، ويقول: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن: ١٤]، أي أن العفو والصفح من صفات الله، ومن اتصف بهما فبصفات الله اتصف، ومن كان هذا ديدنه وشغله، فلا ريب غفران الله نائله.

٣- ضمان عفو الله، قال تعالى: {إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء: ١٤٩]، أي إن عفوت فعفو الله حاضر، فكيف بمن يعفو ويحسن؟.

٤- القرب من الله، وتحصيل مرضاته، قال تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة: ٢٣٧]، فكيف بمن يعفو ويحسن؟.

---

(١) ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس: (١٨٩/٢)، ونقل المؤلف أن معنى الأثر صحيح، ولكنه لا يعرف مرفوعاً.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: (٣٦٢/١٥).

٥- مضاعفة الأجر، قال تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} [القصص: ٥٤ – ٥٥].

٦- الفوز بالجنة، والمنزلة العالية فيها، فالصبر والعفو والإحسان من أعظم الأعمال التي تستوجب ذلك، قال تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٢ – ٢٤].

٧- المكافأة بالحسنى وزيادة، يقول الله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: ٢٦]، لا جرم أن الإحسان إلى المسيء ابتغاءَ وجه الله مرتبة عليا من الإحسان الذي قصدته الآية، وفي المعنى نفسه يقول الله عزَّ وجلَّ: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} [القصص: ٨٤].

٨- تخيّرُ الحوريات في الجنة، روى معاذ بن أنس الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر، دعاه الله تبارك وتعالى على رؤوس الخلائق، حتى يخيره في حور العين أيتهن شاء))(١).

٩- يقول الله تعالى في حق الصابرين: {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]، ويقول: {وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٦]، والصبر في مسألتنا هذه مقدمة، وهذا ثواب المقدمة، فكيف بثواب القمة؟!!

١٠- عرف النبيّ ﷺ الإيمان بالصبر، الذي هو عدة الارتقاء، والسماحة، التي هي جنسه هنا، وذلك لما سئل ما الإيمان؟، فقال: ((الصبر والسماحة))(٢)، وهذا ينبيك عن مكانة وثواب ممتثل مرتبة الارتقاء.

هذا ولا يعدم المسيء الأجر والمثوبة، فإنه إذا ندم وتاب وأصلح، بدّل الله سيئاته حسنات، ويدخل تحت عموم قوله تعالى: {... إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٧٠]، فمن رحمة الله وفضله أنه لا يوصد الأبواب في وجه عباده، بل يتركها مشرعة في

---

(١) رواه أحمد في مسند معاذ بن أنس الجهني: (٤٣٨/٣).

(٢) رواه أحمد في مسند عمرو بن عبسة: (٣٨٥/٤)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

الليل ليتوب مسيء النهار، وفي النهار ليتوب مسيء الليل[١]، فإذا تاب العبد وأردف ذلك بالحسنة، محى سئته، قال رسول الله ﷺ: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن))[٢].

٢- المعطيات الجماعية:

هناك عوامل كثيرة تسهم في تماسك الجماعة وتمتين صفّها، وإدامة السلام والوئام بين أفرادها، من هذه العوامل الأخلاق الفاضلة، وعلى قمتها خلق الحلم والعفو والصفح والإحسان والإغضاء والتحمل والترفع والتسامي وكبح الذات وخفض الجناح ومجافاة الهوى، هذه الخصال التي تعد قوام الارتقاء الحضاري الذي قصدته الآية المباركة[٣]، فهي المرهم الشافي والدواء الكافي لداء العداوة والبغض والحقد والتدابر والشح والتفرق والتشرذم والتعصب والعنف، وتنتج التصافي والصلح والسلام والوئام والتعاون والتشارك والتعاطف والتواد والتآلف والتضامن والاحترام والمراعاة والتضحية والمناصرة والاندماج والتآخي والمؤازرة والتواصي والعطاء والإغاثة والانفتاح والمحبة والدعة والأمن والأمان والتعايش والحرية، فإذا عملنا على تربية الأجيال على هذه القيمة العظيمة، وانتقلنا من مجرد الحضور القيمي في المدونات الثقافية إلى الحضور العملي والفعلي في إطار المنظومة الاجتماعية، لعاد للمجتمع ألقه وبريقه، ولساد في أوصاله روح التفاهم والحوار البناء، ولتغلغل فيه روح الانتماء وقيم البناء والتقدم، ولا سيّما في هذه الأيام العصيبة التي تعيشها أمتنا[٤]، فأعظم بها من عطية.

وخلاصة القول إن الآية التالية، وهي قوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٥]، تختصر المعطيات المذكورة، يقول الماوردي: في معنى "ذو حظ عظيم" أربعة أوجه :

أحدها: ذو جد عظيم.

الثاني: ذو نصيب وافر من الخير.

الثالث: أن الحظ العظيم الجنة، ونقل عن الحسن البصري (ت:١١٠ هـ) قوله: والله ما عظم حظ قط دون الجنة.

الرابع: أنه ذو الخلق الحسن[٥].

---

(١) هذا مضمون حديث رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة : (٢١١٣/٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه عن أبي ذر، في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس: (٣٥٥/٤)، وقال حديث حسن صحيح.

(٣) ينظر: العلاقات الاجتماعية من منظور مقاصدي : (١٧-١٩).

(٤) ينظر: دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح: (٢١٥-٢١٦).

(٥) ينظر: النكت والعيون: (١٨٢/٥-١٨٣).

وليس ثمة مانع يمنع من القول: إن الحظ العظيم يشمل الجميع، فيكون جامعاً لكل المعاني التي ذكرناها آنفاً.

المطلب الثالث: كيفية حصول الارتقاء

تعد خصلة الارتقاء أمّاً جامعاً لجميع مصالح الدين والدنيا، والعمدة المقصودة بالذات، لذلك نبَّه الله على عظيم فضلها، وبديع نبلها، وحثّ المؤمنين على إيجادها، والاستظلال بظلها(١)، ووضع قواعد وطرق لتحصيلها، إذ قال سبحانه: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٤ – ٣٦]، نحاول في هذا المطلب جاهدين بيان كيفية تحصيل هذا الارتقاء، لنفوز بمعطياته الكثيرة الوفيرة، وذلك بالتمعن في الآيات المذكورة وتدبرها، والاستعانة بما وقفنا عليه من المصادر التي تناولت هذا الأمر بالبحث والدراسة، وذلك كالآتي:

١– القاعدة الأولى: التحلي بالصبر، فالصبر عدة المرتقي، لذلك قال تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} [فصلت: ٣٤ – ٣٦]، أي لا يجعل لاقياً لخصلة الارتقاء إلاّ الذين وجدت منهم حقيقة الصبر، وركزت في طباعهم، فصاروا يكظمون الغيظ، ويحتملون المكاره(٢)، ويتغلبون على نزعات النفس المجبولة على الانتقام والثأر، فالصفح عن سيئات الآخرين أمر عسير، ومرتقى صعب، فكيف بالإحسان؟، فلا يصدر هذا إلاّ ممن وطن نفسه على الصبر، وكانت وثيقة صلته بمعبوده الحليم الغفور. نعم فلا يقوم بحق هذه الخصلة الشريفة، والفضيلة العظيمة إلّا من ترقّى عن سفساف الشيم إلى معالي الأخلاق. ولا يصل أحسن الدرجات إلا من صبر على مقاساة الشدائد(٣)، وهذا تنبيه إلى شرف هذه الطريقة وجدواه، فإذا صبَّر الإنسان نفسه وامتثل لأمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله لا تفيده شيئًا، ولا تزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك مرتاحًا متلذذًا مستحليًا له(٤).

٢– القاعدة الثانية: إشعار المؤمن بعظمة الارتقاء، وجزيل ثواب الله عليه، ويعبر عنه قوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٥]، أي من الخير وكمال النفس، والتخلق بالأخلاق الربانية، ومن

---

(١) ينظر: نظم الدرر: (١٤/٣٩١).

(٢) ينظر: نفسه: (١٤/٣٩١).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: (٣/٣٣٢).

(٤) ينظر: الأنوار الساطعات: (٢/٤٧١).

الثواب وكمال العقل(١)، فمن رزق العلم والفهم يدرك مدى حاجة البشر إلى هذه القيمة العليا، وحرص على عدم تفويت هذه المنزلة الرفيعة، {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} [القصص: ٨٠].

٣- القاعدة الثالثة: الالتجاء إلى الله من وساوس الشيطان، وفي هذا يقول تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت: ٣٦]، فهذه قاعدة عظيمة مؤثرة في هذا الباب، وتنطوي على سرّ عظيم، هو صرف العنان إلى التحذير من عوائق الارتقاء، التي تجتمع كثرتها في نزغ الشيطان، فأمر سبحانه بأنه إن وجد المرء في نفسه خواطر تصرفه عن ذلك، وتدعوه إلى دفع السيئة بمثلها، فإن ذلك نزغ من الشيطان دواؤه أن يستعيذ بالله من الشيطان، فقد ضمن الله له أن يعيذه إذا استعاذه(٢).

وقد ذكر الماوردي للنزغ خمسة تأويلات:

أحدها: النزغ هو الغضب.

وثانيها: أنه الوسوسة وحديث النفس.

والثالث: أنه النجس، والرابع: أنه الفتنة، والخامس: أنه الهمزات(٣)، وهذه المعاني كلها واردة، إلاّ أن الغضب قد يكون نتيجة لتهييج الشيطان وإغرائه.

فالطريق الوحيد لمنع تهييج الشر ودفع الغضب إذا بدت بوادره هو الالتجاء إلى الله، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله؛ ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته، بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه(٤).

لذلك نرى أن الله تعالى كلما أمر بالعفو والدفع بالتي هي أحسن، أردف ذلك أمره بالاعتصام به من نزغات الشيطان، ففضلاً عن هذا الموضع، يقول جلّ جلاله في سورة الأعراف: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف: ١٩٩ – ٢٠٠]، ويقول في سورة المؤمنون: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} [المؤمنون: ٩٥ – ٩٨]، وقوله في حسن التعامل مع العباد: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا} [الإسراء: ٥٣]، فالشيطان حريص على إيقاع العداوة بين الناس، ولا سيَما إذا صدر عن أحدهم

---

(١) ينظر: محاسن التأويل: (٣٤١/٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢٩٦/٢٤).

(٣) ينظر: النكت والعيون: (١٨٣/٥).

(٤) ينظر: الأنوار الساطعات: (١ /٢٠٩، ٢/٢).

السوء تجاه غيره، بل هو في سعي مستمر للإيقاع بين الناس ابتداءً، يقول الرسول الكريم ﷺ: ((إن الشيطان قد أيس -وفي رواية: يئس- أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم))(١)، ويؤكده ما قاله سبحانه على لسان يوسف: {مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي} [يوسف: ١٠٠]، ويؤكد المعنى المذكور ما رواه أحمد: (أن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر، فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت، قال: ((إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان))(٢).

فمن استعاذ بالله، وتوكل عليه واتقاه كان من الذين قال الله فيهم: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [الأعراف:٢٠٢]، وإذا كان من الغافلين السادرين، كان من الذين قال فيهم: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} [الأعراف:٢٠٢].

٤- القاعدة الرابعة: ذكر الله تعالى وإخلاص التوجه إليه، فمما يستنبط من سياق الآيات التي فيها الأمر بالعفو والصفح والإحسان إلى المسيء، التأكيد على ذكر الله وحسن عبادته، بصدق التوجه إليه، يقول تعالى بعد الأمر بالعفو في سورة الأعراف: {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٥ – ٢٠٦]، ويقول في سورة النور: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:١٩—٢٢]، تنطوي هذه الآيات على أمور مهمة تعين العبد على تحقيق الارتقاء، كالطاعة، واليقين، والنية الخالصة، والذكر، وحضور القلب، والتواضع، والبذل، فمن فوائد الذكر، مثلاً: وجل القلب، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله حق توكله، والإقبال على العبادات والخيرات برغبة وسلاسة، وهذا كفيل بتحقيق الارتقاء، يقول تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٢ – ٤]، ويقول: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه عن جابر، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: (٤ /٢١٦٦)، رقم الحديث (٢٨١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده: (٢ /٤٣٦)، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، ينظر: مجمع الزوائد: (٣٧٦/١٧).

قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الحج: ٣٤، ٣٥]، بينما الغافل عن ذكر الله فمعرض لوساوس الشيطان وأحابيله وإغراءاته، فيكون أبعد ما يكون عن العفو، فضلاً عن الارتقاء، يقول تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} [المجادلة: ١٩].

٥- القاعدة الخامسة: مقابلة تفضل الله على المرء، بالتفضل على عباده، فكما أن المرء يذنب بينه وبين الله، ويخاف عواقبها، ويرجو الله أن يعفو عنه، ويغفر له، فلا يقتصر الله على مجرد العفو عنه، بل ينعم عليه ويكرمه، ويجلب إليه المنافع والإحسان فوق ما يؤمله، فكذلك يحب أن يُعامَل عباده، ويقابل إساءتهم بالعفو والصفح والإحسان، فكيف يتعامل معهم يعامله الله بمثله، جزاء وفاقاً، كما يدين يدان، فمن تفكر في هذا المعنى وجد الطريق إلى الارتقاء سهلاً ميسوراً(١)، وفي هذا المعنى يقول تعالى: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢]. ويقول سبحانه: {وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[القصص: ٧٧].

٦- القاعدة السادسة: الاقتداء بالرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ وصحبه الكرام وصالحي الأمة: فإن التعرف والتبصر بسيرته وسيرهم، يفتح آفاقاً رحبة لزرع وإنبات قيمة الارتقاء في النفس، ويسهل على المرء امتثالها، لِما يجده من الأمثلة الرائعة الراقية، التي تسهم في إيجاد وزيادة سمة الانبساطية والمقبولية ويقظة الضمير والانفتاح على الخبرة من سمات الشخصية، وقد ثبت علمياً أن لهذه السمات دور كبير في تحقيق السماحة(٢)، وهذا يعبد الطريق للارتقاء.

٧- القاعدة السابعة: حصر عوائق الارتقاء، والارتياض على دفعها، وتربية النفس على أضدادها: إن الارتقاء شأنه شأن غيره، تعترضه عوائق تقف في وجه تحصيله، ويمكن حصر أهم ما يعترضه فيما يأتي:

النفس المتبوعة، والشيطان الموسوس، والغضب المطغي، والشح المسيطر، والطمع المردي، وإيثار العاجلة، والكبرياء الزائف، وضيق الصدر، وقلة الحيلة، والجهل، ونسيان قدرة الله وعلمه وغفرانه ورحمته وثوابه، والغفلة عن عاقبة السيئة.فالارتياض والتدرب على أضداد هذه المعاني، يورث عند المرء ملكة اكتسابية تسهل أمر الارتقاء، وتقوض تسلط العوائق على نفسيته وسلوكه.ومما يروى في هذا الشأن عن الأحنف بن قيس، أنه سئل كيف وصلت إلى هذه المرتبة؟، فقال: ما آذاني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفت له فضله، وإن كان مثلي تفضّلت عليه، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه(٣).

٨- القاعدة الثامنة: تربية الناشئة على القيم العالية، ولا سيّما الحلم والسماحة، فإنها خير وسيلة لصدور الارتقاء بسلاسة، ولتعميم امتثاله.

---

(١) ينظر: التفسير القيم: (٣/٣٠٩-٣١٠).

(٢) ينظر: التسامح والانتقام وعلاقتهما بسمات الشخصية: (٢٠٢- ٢٠٣).

(٣) ينظر: نظم الدرر: (٥/٣٦).

المطلب الرابع: نماذج تطبيقية في الارتقاء الحضاري

نزين هذا المطلب بنماذج من سير الأنبياء والصحابة وصالحي الأمة، نتبين عن طريقها أن ما قلناه في المطالب المتقدمة، ليس من الخيال، ولا ضرباً من المثاليات، التي لا يمكن تحقيقها في الواقع المعاش، ونجعلها مشاعل نهتدي بهداها، مستهلين بالأنبياء، ثم الصحابة، إذ قد يقول قائل: إن هؤلاء الأنبياء معصمون ومؤيدون بالوحي، فلا غرابة أن يصدر عنهم ما صدر، فنقول: فهؤلاء الصحابة أناس غير معصومين، وقد يقال أيضاً: إن هؤلاء كذلك، فهم تربية نبوية، ونفوسهم مزكاة بفضل رعايته وتوجيهه، فنقول: إليك نماذج من سير الذين جاءوا من بعدهم، ونموذجاً من عصرنا، وذلك كالآتي:

أولاً: نماذج من سير الأنبياء:

تعد سير الأنبياء معيناً للارتقاء والسماحة والصفح، فهذا يوسف الصديق (عليه السلام) يلاقي أخوته بعد كل ما فعلوه، بقوله المملوء حناناً وعطفاً: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢].

أما خاتم الأنبياء وسيدهم مُحَمَّد ﷺ، فسيرته مليئة بقصص الارتقاء، ومن ذلك ما رواه ابن مسعود ﷺ، قال: كأنِّي أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ضَرَبَه قومُهُ فأدمَوهُ، وهو يمسحُ الدمَ عن وجهِهِ، ويقول: ((اللهم اغفِر لقومي؛ فإنَّهم لا يعلمون))[(١)]، يقول ابن القيم: إنه ﷺ جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه، أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه، فقال: اغفر لقومي، كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدي هذا غلامي هذا صاحبي فهبه لي[(٢)].

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يستعينه في شيء، فأعطاه شيئاً، ثم قال: ((أحسنت لك؟))، قال الأعرابي: لا ولا أجملت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا، ثم قام فدخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابي، فدعاه إلى البيت، يعني أعطاه فرضي، فقال: ((إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي أنفس المسلمين شيء من ذلك، فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك))، قال: نعم فلما كان الغد أو العشي جاء، وقال رسول الله

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ،١٤٢٢هـ، ١٧٤/٤. و صحيح مسلم ، ٣/ ١٤١٧.

(٢) ينظر: التفسير القيم: (٣٠٩/٣).

ﷺ: ((إن صاحبكم جاء فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا دعوناه إلى البيت، فأعطيناه فزعم أنه قد رضى، أكذلك؟))، قال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال النبي ﷺ: ((ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي، كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فجاءت فاستناخت فشد عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار))(١).

ثانياً: نماذج من سير الصحابة:

إن أمثلة الارتقاء المأثورة عن الصحابة تفيض بها الكتب كثرة، ومن ذلك: (قول أبي بكر الصديق ﷺ، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره – والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً، بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٢٢]، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً)(٢).

ومنه أن رجلاً أسمع أبا الدرداء ﷺ كلامًا، فقال: "يا هذا، لا تغرقنَّ في سبِّنا، ودع للصُّلح موضعًا؛ فإنَّا لا نكافئ مَن عصى اللهَ فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه)(٣).

وها هو أبو ذر ﷺ يعاتب غلامه، بقوله: (لِمَ أرسلتَ الشاة على عَلف الفرَس؟، قال: أردتُ أن أَغِيظك، قال: لأجمعن مع الغيظ أجرًا؛ أنت حرٌّ لوجه الله تعالى)(٤).

ثالثاً: نماذج من سير من جاء بعد الصحابة:

روى الأصمعي أن رجلاً أسمع الشعبي كلاماً، فقال له الشعبي: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك(٥).

---

(١) ينظر: مسند البزار ،١٥/٢٩٤.، و تفسير القرآن العظيم ، ٤/٢١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن عائشة، في باب سورة النور، كتاب التفسير، : (٤/١٧٧٤)، رقم الحديث (٤٤٧٣).

(٣) ينظر: ادب الدنيا والدين ، ٢٥٢.

(٤) ينظر: البيان والتبيين ١/ ٤٠٦ ، و المستطرف: ٢٠١.

(٥) ينظر: تاريخ دمشق: (٣٢/٢٥٨).

ومما يروى عن زين العابدين علي بن الحسين، (أنه خرج يوماً من المسجد فسبه رجل؛ فانتدب الناس إليه، فقال: دعوه ثم أقبل عليه، فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟، فاستحيا الرجل، فألقى إليه خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: إنك من أولاد الأنبياء)(١).

ويروى عنه أيضاً أن جارية له سكبت عليه ماء ليتوضأ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه، فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول: والكاظمين الغيظ، فقال: قد كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس، فقال: عفا الله عنك، فقالت: والله يحب المحسنين، قال: أنت حرة لوجه الله تعالى..!(٢).

ويروى عنه أيضاً أنه كان بينه وبين حسن بن حسن، ابن عمه شيء، فما ترك حسن شيئاً إلا قاله، وعلي ساكت، فذهب حسن، فلما كان في الليل، أتاه علي، فخرج، فقال علي: يا ابن عمي إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً، فغفر الله لك، السلام عليك. قال الراوي: فالتزمه حسن، وبكى حتى رثى له(٣).

رابعاً: نموذج من العصر الحاضر:

روى من نثق به أن قروياً بسيطاً كان يملك دكاناً في القرية اسمه عبدالله بن حميد بن مصطفى، ارتقى يوماً سقف منزله، فسمع جارة له تسبه، وتغلظ فيه القول، فقال لها: قد سمعت قولك، عفا الله عنك، وغفر لوالديك(٤).

وبعد فإن من يجيل النظر في هذه المواقف الراقية، ويعيش معها بحضور قلب وتبصر، لا شك يتأثر بها إيجاباً، ويقيم على وفقها سلوكه، ويضبط بها مواقفه، والموفق من وفقه الله.

الخاتمة

بعد رسوِّ البحث على شاطئ التمام، ولله الحمد والمنة، نسطر فيما يأتي أهم النتائج التي توصلنا إليه فيه:

١- تنطوي الآية على معنى عظيم، يعد أساساً من أسس السلم الاجتماعي، إذ ترشد أهل الإيمان إلى الترقي عن نوازع النفس، ومؤثراتها الخارجية السلبية، والاتصاف بالإحسان إلى المسيئين، علاوة على كف اليد،

---

(١) ينظر: تاريخ دمشق: (٣٩٤/٤١)، البداية والنهاية: (١٠٨/٩).

(٢) ينظر: تاريخ دمشق: (٣٨٧/٤١)، البداية والنهاية: (١٠٨/٩).

(٣) ينظر: تاريخ دمشق: (٣٩٥/٤١)، سير أعلام النبلاء: (٣٩٧/٤).

(٤) الراوي والد الباحث الأول.

والعفو والصفح، وهذا دافع ضروري لاستتباب الأمن، وانتشار الود والتحابب وتقوية الصلات الاجتماعية، وردع الصفات التي تضادها، ومنه نستنبط أن الاعتداء على الناس، والإساءة إليهم، تحت عنوان ممارسة الحق في الانتصاف من المقابل، أمر لا ترغِّب فيه الشريعة، وإنْ أجازته بشرط المماثلة، فكيف إذا كانت الإساءة ابتداءً؟، من دون رد فعل.

٢- إن المعنى الذي تدعو إليه الآية عامة شاملة، تسع جميع بني آدم، مسلمين وغير مسلمين، بشرط عدم تفويت أمر ديني مقرر، وإحداث ثلمة فيه، أو أن يجر إلى ازدراء أو نقيصة، لا يقر به الشرع.

٣- إن الكلمة الجديرة بالمعنى المذكور، لتكون علماً عليه، هي كلمة الارتقاء، والموضع الذي تريد الآية زرعه فيه، هي النفس البشرية، وإذا أخذنا نقومه ونصنفه، فهو قمة الحضارة، وأرفع ما يمكن أن تصل إليه البشرية.

٤- إن الارتقاء أمر صعب المرتقى، إلاّ أن الذي يهونه، وييسر سبيله، المعطيات العظيمة التي تترتب عليه، ومن مظاهر عظمتها، أنها تنهمر على الفرد فتزيّن حياته وتعلي من شأنه في دنياه، وترفع مقامه في أخراه، وتنفع المسيء والمساء إليه في الوقت نفسه، وتفيض خيراتها على المجتمع، فتسند لبناته، وتشد أوصاله، وتقوي عراه.

٥- لم تحث الآية على الارتقاء فحسب، بل دلت على قواعد مهمة تعين على تحقيقه وامتثاله، تصريحاً وتلميحاً، ظاهرة بجلاء في الآتين اللتين جاءتا بعدها، وعمدة هذه القواعد التحلي بالصبر، وصدق الالتجاء إلى الله، والتوكل عليه، والاعتصام به.

التوصيات:

١- تربية الناشئة على هذه القيمة الرفعية، وذلك بوضع منهج كفيل بتحقيقه، وتقريبه إلى قلوبهم، بمراعاة التدرج الطبيعي الذي ينسجم مع الفئات العمرية المختلفة، وهذا كفيل بسلاسة تحصيله، والدوام عليه.

٢- إعداد منشورات موجزة، تعرف بهذه الخصلة المباركة، وتبين فضل القائمين به، ومكانتهم عند الله أولاً، وفي المجتمع ثانياً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

(١) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، دار اقرأ، بيروت –لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات عبد العزيز بن مُحَمَّد بن السلمان، منشور على موقع شبكة ارض الاسلام، https://www.islamland.com/uploads/books

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤) البداية والنهاية، أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، الطبعة الاولى، ، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنَّكه الميداني ، دار القلم والشامية، بيروت –لبنان، الطبعة الاولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، دمشق.

(٦) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٧) تاريخ دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٨) التحرير والتنوير، مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

(٩) التسامح في الإسلام المبدأ والتطبيق، الدكتور شوقي ابو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت –لبنان، الطبعة الاولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(١٠) التسامح والانتقام وعلاقتهما بسمات الشخصية لدى عينة من طلبة الجامعة، د.نورة بنت سعد البقمي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، Vol 25, No 3, 2017, pp.م.

(١١) التسامح والرضا عن الحياة لدى معلمي التعليم العام بمحافظة النبهانية، فهد بن رمضان حجاج، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، كلية التربية، ١٤٣٥هـ- ١٤٣٦هـ، . اشراف د.عايد عبد الله النعيمي .

(١٢) التسامح وعلاقته بالهناء الذاتي لدى مراجعي المراكز الصحية التابعة لمنطقة حائل، بدر فلاح الحربي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية قسم علم النفس، اشراف مرعي سلامة يونس، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

(١٣) التعريفات، للعلامة علي بن مُحَمَّد السيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الفضيلة للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، تحقيق: مُحَمَّد صديق المنشاوي، ٢٠٠٤م.

(١٤) تفسير القرآن، أبي المظفر، منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(١٥) تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات مُحَمَّد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ.

(١٦) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٠هـ.

(١٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

(١٨) جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(١٩) الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٢٠) دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، مُحَمَّد حسن مُحَمَّد، جامعة الازهر –كلية التربية، اشراف د.صهيب كمال ونهضة كمال الاغا، غزة – فلسطين، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢١) الذكاء الانفعالي والتسامح وعلاقتهما بجودة الحياة لدى منسوبي الدفاع المدني بمدينة جدة، عبد العالي عبد الرحمن السلمي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، جامعة ام القرى – كلية التربية، اشراف الدكتور هاني سعيد حسن، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٥م.

(٢٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢٣) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢٤) سنن الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

(٢٥) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، مُحَمَّد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

(٢٦) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين مُحَمَّد بن احمد بن عثمان الذهبي، (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١ م، د . ط.

(٢٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٨هـ)دار الحديث – القاهرة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٢٨) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، مُحَمَّد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر،، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى.

(٢٩) صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٣/ ١٤١٧م.

(٣٠) العلاقات الاجتماعية من منظور مقاصدي (دراسة تأصيلية) د.احمد مُحَمَّد الفاتح، جامعة المجمعة – كلية التربية.

(٣١) علم النفس الإيجابي وتطبيقاته في المجالات الإكلينيكية والاجتماعية والجنائية، د. خالد إبراهيم الفخراني ود. سيد أحمد الوكيل، المؤتمر الإقليمي العاشر لقسم علم النفس/ جامعة طنطا، ٢٠١٤.

(٣٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني، (ت ١٢٥٠هـ)، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣ م، الطبعة: الثانية.

(٣٣) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر– ١٤١٢هـ.

(٣٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٣٥) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن مُحَمَّد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢هـ)، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي – القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ.

(٣٦) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

(٣٧) لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٣٨) لطائف الاشارات المسمى (تفسير القشيري) للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠١٧م.

(٣٩) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

(٤٠) محاسن التأويل، المؤلف: مُحَمَّد جمال الدين بن مُحَمَّد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

(٤١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد، د.ن، د.ت.

(٤٢) المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين مُحَمَّد بن أحمد أبي الفتح (ت:٨٥٠هـ)، مكتبة الجمهورية العربية الأزهر/ مصر، د.ط، د.ت.

(٤٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبي عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٤٤) مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

(٤٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية- بيروت .

(٤٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود بن مُحَمَّد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٤٧) معجم مقاييس اللغة لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٤٨) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق/ جمهورية مصر العربية، ط٤، ٢٠٠٤.

(٤٩) مفاتيح الغيب، أبي عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.

(٥٠) مفهوم التسامح في الإسلام وصلته بمفهوم الواجب دراسة تطبيقية، د.بلال صفي الدين، ورقة مقدمة الى مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الاسلامية، ١٤٣٠هـ .

(٥١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م.

(٥٢) ناسخ القرآن ومنسوخه، المؤلف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي، الناشر: شركه أبناء شريف الأنصارى- بيروت.

(٥٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٥٤) النكت والعيون، أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، د.ت.ط.

(٥٥) إعلان مبادئ بشأن التسامح، اعتمده المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥، المادة (١)، الفقرة (١).
http://hrlibrary.umn.edu/arab/tolerance.html

المحتويات

ملخص البحث ١
Abstract..... ١
المقدمة ٢
المطلب الأول: بين يدي الآية تحليلاً واستدلالاً..... ٣
المطلب الثاني: مفهوم الارتقاء ومعطياته على المستويين الفردي والجماعي..... ٨
المطلب الثالث: كيفية حصول الإرتقاء ١٧
المطلب الرابع: نماذج تطبيقية في الارتقاء الحضاري..... ٢١
الخاتمة ٢٣
قائمة المصادر والمراجع ٢٤